الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عودة إلى الماضـي

الحلقة العشـرون بعد المائـة

مقدمة البرنامج..

مؤثرات..

مساعد: بسم الله الرحمن الرحيم.. سلام الله عليكم وبعد، فإنّ هذا اللقاء هو لقاؤنا الذي نختم رحلة الشهور الأربعة ونطلق فيه أقصى ما يسعنا أن نطلقه من الرأي استجابة منا لنداء طالما تردد في أعماق الضمير.. إنه النداء الذي يلح على أصحاب الفهوم والقلوب الواعية أن يستوعبوا معنى العودة إلى الماضي وإدراك الأبعاد الخاصة به..

سالم: وعلى ذلك فإنّ من واجبنا أن نقول لكم: لقد بدأ الإسلام بعد أن خرج من الأزمات الثلاث التي تحدثنا عنها في لقاءات ثلاثة متتابعة، نعم لقد بدأ الإسلام رحلته الكبرى إلى العالم كله..

مساعد: ولا عجب في أن يبدأ رحلة العمالقة هذه وقد استوفت جماعته شروط الأصالة والسيادة والقوة والوعي بأبعاد الرسالة التي تحمل. ولا نشك أن القضاء على الردة والمرتدين والوقوف عندما أمر الله به أن يفصل بشأن التوابين المتطهرين قد كان الآية الدالة إلى استعداد هذه الجماعة لمواجهة التحديات الخارجية.

سليمان: نكاد نفهم من هذا الكلام أن المبادرة في الحروب مع جيوش الروم والفرس ومن وراءهم كانت من قبل المسلمين في الجزيرة العربية. فهل هذا صحيح؟

سالم: كلا يا سليمان.. هذا غير صحيح.. إن الذي جعل الحرب أمراً محتماً على العرب المسلمين هو هذه التحولات الجذرية الحاسمة في بناهم الاجتماعية الاقتصادية والسياسية.. فأرضهم لم تعد كما كانت من قبل ميداناً ينشط فيه من يشاء من الطارئين الأبعدين.. ودولتهم لم تعد مجموعة من المشيخات ذات الأطماح القريبة التي ترضيها غنائم غزوة من الغزوات العابرة بل أصبحت أمة عظيمة الشأن مرهوبة الجانب ذات استراتيجية حضارية عالمية وتحمل إلى الدنيا ثقافة جديدة تهدف إلى صنع الناس فيها صنعاً جديداً.

جاسم: إذاً من الواضح أن هذه الصورة الجديدة للمجتمع العربي المسلم هي صورة مخيفة.. إنها قد لا تهدد حياة الناس العاديين ولا تحدث تغييراً مادياً في ظروفهم المعيشية.. لكنها في الواقع تهديد مباشر لكل مراكز القوة كما يقال اليوم. إنها تهديد موجّه لرجال الحكم ومحالفاتهم الداخلية والخارجية التي عقدوها مع طبقات وفئات متنفذة. كما أنها تهديد للذين تعودوا أن يسوسوا الناس بشعارات دينية معينة وطقوس وتقاليد.. كما أن كل الذين بنوا حياتهم وحققوا مكاسبهم الاجتماعية الاقتصادية يجدون في نمو جماعة الإسلام كظاهرة فيها كل احتمالات الخطر عليهم..

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضـان عبدالرحمن لاوند (سـيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

سليمان: وعلى ذلك فإنّ من طبائع الأشياء أن تتنادى هذه الفئات وتتعاون على تعبئة الملايين من بسطاء الناس وتحريضهم على هذه الجماعة الجديدة..

مساعد: هل عساكم نسيتم أيها الأخوة.. أيها الأبناء.. أن هذا الدين الذي تمثل في الجماعة الإسلامية الفتية هو دين عالمي؟ وهل نسيتم أنه خرج إلى الدنيا ليعلن ولادة حرية الحوار وإسقاط كل الحواجز المعنوية والمادية التي اخترعتها مجموعات المنتفعين بها على امتداد القرون فتحاجزت بها واحتجزت كل منها عن طريقها مجموعة من الناس تمارس عليهم أساليبها في التضليل والتجهيل؟

سالم: صحيح أن الجماعة العربية الإسلامية كانت مصدر خطر على العالمين.. لكنه الخطر الذي يتمثل فيما تحمله الحرية إلى المظلومين.. والصدقات إلى المعوزين.. والمعرفة إلى المجهلين.. إنه الخطر الذي يخيف المنتفعين من الجهالة والظلم وتجميد العقول..

جاسم: شكراً لكما.. والآن وقد علمنا أن ملاحم الانتشار الإسلامي في طول العالم وعرضه قد بدأت بوقائع ومعارك كانت وما تزال شواهد خالدة على التحولات الحضارية من مثل يوم اليرموك ويوم القادسية ويوم نهاوند وأيام خالدات في مصر والشمال الإفريقي والأندلس والشرق الأقصى.. فهل لكما أن تضعا لمسات أخيرة للصورة الثابتة التي تميزت بها الجماعة الإسلامية على امتداد القرون؟

سليمان: على أننا نعلم سلفاً قبل أن نستمع إلى بعض الإجابات المطلوبة أن استيعاب الصورة لهذه الجماعة على امتداد القرون غير ممكن.. لكن هذا لا يحول دون أن تختارا أبرز هذه اللمسات. وبذلك تصبح أجيالنا الطالعة أقدر على إدراك مواطن الأصالة في هذا الماضي الذين تدعوان للعودة إليه..

مساعد: الآن وقد أصبحت الإجابة أكثر واقعية نلفت نظركم إلى خطوط ثلاثة أساسية تميزت بها الجماعة الإسلامية على امتداد القرون.. الخط الأول: هو أن هذه الجماعة متعلمة مثقفة.. والخط الثاني: أن هذه الجماعة قد جعلت من الأسرة ضمانة لاستمرار وجودها وسلامته. والخط الثالث: أن هذه الجماعة قد رفضت الطبقية وإن عرفت المراتب المتفاوتة..

سالم: نعم أيها الأخوة.. أيها الأبناء.. لقد تميزت الجماعة الإسلامية على امتداد القرون من غيرها من الجماعات أنها اعتبرت العلم جزءاً من العقيدة وقطاعاً أساسياً في جملة التعاليم التي جاء بها كتاب الله عز وجل.

جاسم: أعتقد يا أستاذ سالم أن هذه الملاحظة صحيحة تماماً. فقد كنا نتساءل دائماً ونحن نستعرض أحوال المسلمين في التاريخ: ما هو هذا الباعث الذي كان يحض المسلمين على تعليم أبنائهم في الوقت نفسه الذي لم تهتم فيه أية دولة إسلامية برعاية دور العلم والقائمين على التعليم من الفقهاء والمؤدبين؟

سليمان: وكان يزيد من إلحاح تساؤلنا أن هؤلاء الفقهاء الذين يتولون مهمة التعليم كانوا في كثرتهم الساحقة من فقراء الناس.

مساعد: الجواب تجدونه في كتاب الله:" قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ" " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ " وأخيراً الآية التي جعلت من التعلم ضرورة لا غنى عنها في شؤون التبايع والمداينة وهي شؤون يومية تلازم كل مجتمع من

المجتمعات. إنها في قوله عز وجل: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ... ".

جاسم: هذا بالنسبة للتعلم والتثقف من الناحية المبدئية.. فهل لكما أن تختارا لنا الشواهد الدالة على أهمية هذا الخط في صورة الجماعة الإسلامية؟

سالم: كلا يا جاسم.. لأن استيعاب الشواهد في مثل هذا القاء غير ممكن ولكننا نضع تحت تصرفكم لائحة بأسماء المراجع الموثوقة التي تجدون فيها المئات من الشواهد المطلوبة.

سليمان: حسن جداً.. فهل يمكن أن توضع لمسات سريعة تكشف عن دور الأسرة في حماية المجتمع الإسلامي؟

مساعد: بكل سرور يا سليمان.. إن الظاهرة التي تلفت النظر في بنية الجماعة الإسلامية هي أن الإسلام قد عني عناية تامة بالأسرة وتنظيم العلاقات بين أفرادها وتعميق أكرم الأحاسيس والعواطف والتوكيد على أهمية المودة والرحمة في تثبيت دعائمها. وهنا لن أتحدث عن تفصيلات هذه العلاقات والمشاعر والالتزامات والقيم فعندكم منها شيء كثير.

جاسم: هناك مؤرخون يقولون: إن المحن المتوالية التي تعاقبت على العالم الإسلامي بسبب غارات الصليبيين والمغول ومن بعدهم من الغزاة الذين بذلوا جهوداً كبيرة للقضاء على وحدة الجماعة الإسلامية.. إن كل هذه المحن قد عجزت تحطيم هذه الجماعة بفضل الأسرة الإسلامية بجذوره الراسخة وقيمها الثابتة والعلاقات الوطيدة بين أفرادها.. فما هو الرأي في هذا التعليل؟

سالم: إنه تعليل منطقي سليم.. وكل ذلك قد تم بفضل التشريعات التي نظمت حياة الأسرة والقيم الخلقية والدينية التي ارتبطت بها.. بل أقول لكم أكثر من ذلك: إن مجموعة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي جاء بها وحي السماء ووردت على لسان النبي عليه السلام جديرة وحدها بإفراد عشرات من لقاءاتنا للكشف عن أهمية الأسرة في الإسلام.. حماية الأبوين الشيخين.. والتزام الأبوين بأولادهما.. والمودة والرحمة اللتان ترمزان إلى الزواج والتشريعات التي تحمي الأرامل والمطلقات.. والترتيبات التي تفرض للمرأة نفقتها بالمعروف على ولي الأمر وغيرها مما لا سبيل إلى استيعابه كل ذلك جعل الأسرة متماسكة ثابتة أمام العواصف والأعاصير حتى ولو كانت من الطراز الرهيب الذي عرفه العالم في غزوات البرابرة من الفرنجة والمغول ثم في الغزوات البربرية في العصور الحديثة.. ولنا في سلامة الجماعة الإسلامية في الجزائر بعد مائة وعشرين عاماً من معاناتها لمأساة الفرنسة الآية والعلامة..

سليمان: يبقى أن تقال لنا حكمات حول مراتب الناس في المجتمع الإسلامي وبذلك نأتي على نهاية الخطة الموضوعية للعرض.

مساعد: لقد قلنا يا سليمان في لقاء سابق: إن المجتمعات الإسلامية خالية من الطبقات المتمايزة المتحاجزة. لكن هذا لا يمنع من أن تكون للناس مراتبهم الناجمة عن المكانة التي يحتلونها أو عن مستوياتهم الاقتصادية.. وهي، أي المستويات الاقتصادية أو المكانة السياسية أو الاجتماعية، قابلة للتغيير فهي غير ثابتة. والفرق كبير هذه المراتب وبين الطبقية كما عرفتها جماعات وأمم غير إسلامية..

سالم: وهذا يعني أن الكونت أو الدوق في نظام الطبقات يبقى كونتا ودوقاً حتى ولو كان أفلس وهو يرفض أن يصاهر من هو من غير طبقته حتى ولو كان من أصحاب الملايين.. كما يعني أيضاً في غير مجتمعات الأدواق واللوردات أن من هم فوق يعتبرون الاتصال بمن هم تحت انتقاصاً لكرامتهم ولحقوقهم الدينية أما في الإسلام فلم يحدث شيء من ذلك.

مساعد: ولكي تدركوا معنى المراتب في المجتمع الإسلامي أقدم اليكم صورة عنها جاءت في كتاب المقريزي: " إغاثة الأمة بكشف الغمة ": قال:

الناس بإقليم مصر على سبعة أقسام: 1) أهل الدولة. 2) أهل اليسار. 3) الباعة والتجار المتوسطون. 4) أهل الفلاحة. 5)الفقهاء وطلاب العلم وغيرهم من الفقراء. 6) أصحاب الصنائع والأجراء. 7) المتسولون.

ولن نزيد على ذلك فقد ضاق المقام عن متابعة الكلام.. وأنتهز هذه الفرصة لأحييكم وأقول لكم: ليكون نداء العودة إلى الماضي شعار كل يوم من أيامكم وعلى الصورة التي قدمناها لكم في رحلتنا الطويلة التي تبلغ نهايتها اليوم.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله..

تصفيق..... موسيقى نهاية.....